﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ٢٥﴾ [يس: 25]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

الإعلانُ بالإيمان في مقامِه ووقتِه

لمّا أقام الأدلَّةَ على توحيد الله تعالى، وبُطلانِ الإشراك به سبحانه، ولم يبقَ لأحدٍ تَخَلَّفَ عنهُ علَّةٌ أو سببٌ يتعلَّق به: صرَّحَ بما لوَّحَ إليه مِن إيمانِه، وصدَح بالحقِّ، فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ﴾[1].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

كلمةُ الحقِّ عاليةٌ فوق كلِّ كلمةٍ

لمّا أنكر الرّجلُ المؤمنُ على قومِه اتّخاذَ الآلهة مِن دون الله: صرَّح بإيمانِه، وأعلن به فقال: (إنّي آمَنتُ برَبِّكم الذي أنعم عليكم، فاسمَعوا قَولي، واتّعظوا به، وأجيبوني إلى دعوتي)[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الفصلِ في الآية:

إثباتُ الإيمانِ لنفسِه مِن لوازمِ ما سبَقَه مِن معانٍ

لمّا كان قولُه: ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ يفيدُ بلازمِه أنّه لم يتّخذ مِن دون الله آلهةً، ويفيدُ بمعناه الإقرارَ بالإيمان بالله تعالى، كان قوله تعالى: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ جاريًا على معنى التّأكيد والتّقرير لما قبلَه، فبينهما كمالُ اتِّصالٍ، وذهب ابنُ عاشور إلى أنَّ جملةَ: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾: واقِعَةٌ موقعَ الغاية مِنَ الخطاب، والنّتيجةِ مِنَ الدّليل؛ ولهذا جاءت على طريق الفصل[3].

سرُّ التّأكيدِ في صدر الآية:

أَكَّدَ الرّجلُ المؤمنُ مضمونَ الخبر بـ(إنَّ) في قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ

(1) البقاعي، نظم الدّرر: 16/ 112 - 113.

(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 422، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 18، والمراغي، تفسير المراغي: 22/ 154.

(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 369.

بِرَبِّكُمْ﴾؛ لكمال العناية بمضمون الخبر، وللقطعِ لِما يظنّ قومُه الكافرون مِن أنَّه لا يجترئُ على مقاطعتِهم كلِّهم، بمخالفتِهم في أصل الدّين، ولإظهار أنَّ صدور الإيمانِ عنه عن كمال الرّغبة والشّوق، وانشراحِ الصّدرِ، واطمئنانِ القلبِ، وصدْقِ اليقين، وكمالِ النَّشاط، لا كمَن: ﴿يَقُولُونَ بِأَفْوَٰهِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: 167][1].

من أظهر أوصافِ الإيمانِ صدورُ الإعلان به عن شوقٍ ورغبةٍ وانشراحِ صدرٍ

نُكتةُ تقديمِ المسنَدِ إليه على خبره الفعليّ:

قُدِّم المُسندُ إليه الذي هو اسمُ إنَّ على خبره الفعليِّ المُثبَت في قوله: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ﴾؛ فأفاد تقويةَ الحكمِ النّاتجِ عن هذا الإسناد، وتحقيقَه في النَّفْسِ؛ ليلتفِتَ إليه القومُ، ويُفكِّروا فيه؛ لأنّه الذي يرجوه الرّجلُ المؤمنُ لهم.

من عرَف حقيقةَ الإيمان وأثرَه في النَّفسَ تمسَّك به

سرُّ التّعبيرِ بلفظِ الإيمان:

عبّر بلفظ الإيمان باللّه في قوله: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بطريق الإعلانِ بإيمانِه أمامَ النّاس جميعًا وتصريحًا به؛ لأنَّ الإيمان بربِّ العالمين يستغرق كلَّ مقتضياتِ الإيمانِ ويستلزمُها، وفيه إشعارٌ بقوّة يقينِه وتصديقه، وفيه تسجيلٌ عليهم بأنَّ اللّه هو ربُّهم لا تلك الأصنام[2].

الإيمانُ بربِّ العالمين يستغرقُ كلَّ مقتضياتِ الإيمانِ ويستلزمُها

دلالةُ الجملةِ الخبريّة:

أفادت جملةُ: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الإخبارَ عن وقوع إيمانه، والحديثَ عنه، أي: (أوقعتُ التّصديقَ بربِّكم الذي لا تصديقَ في الحقيقة غيرُه)، فالجملة خبريَّةٌ لفظًا ومعنىً، وليست إنشاءً[3].

فائدةُ الباءِ في قوله ﴿بِرَبِّكُمْ﴾:

عُدّي الفعلُ في قوله: ﴿ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ بالباء، لتضمُّنِ الفعلِ معنى الاعتراف، أي: آمنت واعترفت بربّكم[4].

(1) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 115.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 369.
(3) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 3/ 346.
(4) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 115.

نوعُ الخطابِ ودلالتُه في قوله ﴿بِرَبِّكُمْ﴾:

العمومُ في الخطابِ لقوّةِ الإيمان وصدقِه

يَحتمل الخطابُ أن يكون للكفّار، وهو الظّاهرُ مِنَ السّياق؛ فإنَّه لمّا نصحهم شافهَهُم بالإيمانِ، وصدَع بالحقّ، إظهارًا للتَّصلُّبِ في الدّينِ، وعدمِ المبالاة بما يصدر منهم مِنَ التّعذيب، أوِ القتل، أي: إنّي آمنت بربّكم الحقِّ، ويَحتمل أنْ يكون للمرسَلين؛ لأنَّه لمّا أظهر إيمانَه أقبل القوم عليه يريدون قتلَه، فأقبل هو على المرسَلين، فقال: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾ الذي أرسلكم إلينا، والذي تدعوننا إلى الإيمان به، فهو يلجأ إليهم ويناشدُهم، ويَحتملُ أن يكون على العموم، مِن غيرِ أن يُعيّن، أي: آمنت بربّكم أيّها السّامعون، فاسمعونِ، ليكون الخطابُ على العموم، كقول الواعظ: يا مسكينُ؛ ما أكثرَ أملَكَ!، يقصد كلَّ سامع، ولا يخصُّ أحدًا[1].

نُكتةُ التّعبيرِ بعنوانِ الرّبوبيّة:

يُذكّرُهم بإحسانِه تعالى الموجِبِ لإيمانهم به

لمّا علَّق حُكمَ الإيمان على وصف الرّبوبيّة في قولِه: ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ﴾: أشعرَ أنَّه آمن باللّه تعالى بما حباه به مِنَ الإحسان وأنواعِ الإنعام، والمعنى: (آمنت بربّكم الذي خلقكم وربّاكم بأنواع النعم)؛ وأفاد التّنبيهَ على أنَّ مقتضَى التّربيّةِ الإيمانُ، وأنَّ إيمانه مِن آثار تربيّتِه تعالى له[2].

دلالةُ الإضافةِ:

تفيدُ إضافة الرَّبِّ إلى ضمير القوم الكافرين - على أن الخطاب لهم -: توبيخَهم على كفرِهم بالمحسِن إليهم، أي: (كيف تكفرون بربّكم الذي خلقكم، وأحسن إليكم)[3].

---

(1) الكرماني، لباب التفاسير، ص: 2344، والبيضاوي، أنوار التنزيل: 4/ 266، وأبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 164، و46، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 399.

(2) القونوي، حاشيته على تفسير البيضاوي: 16/ 115.

(3) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 399.

نُكتةُ جمعِ المضاف إليه:

الجمعُ هنا إمّا احتجاجٌ، وإمّا تذكيرٌ

على القول بأنَّ الخطاب لقومِه، بأن يعود الضّمير في قولِه: ﴿بِرَبِّكُمْ﴾ إلى الكافرين: كان مجيءُ الضّمير بصيغة الجمع للإيذانِ بأنّ الذي يعبده هو ربُّهم أيضًا، ولو قال: (إني آمنت بربي) على ما هو الظّاهرُ، جريًا على ما قبله: كان مِنَ المحتمل أن يقولوا: أنت تعبد ربّك، ونحن نعبد ربّنا، ويقصدون بربِّهم آلهتَهم[1]، فكان في العدول عن خطاب الإفراد إلى خطاب الجمع نوعٌ مِنَ الاحتجاج عليهم.

وعلى القول بأنّ الخطابَ للمرسَلين: كان مجيء الضّمير بصيغة الجمع رَوْمًا لِزيادةِ تقرير إيمانِه بالمرسَلين وإظهارًا للاختِصاص والاقتداءِ بهم، كأنَّه قال: (بربِّكم الَّذي أرْسَلَكم، أو الَّذي تَدْعونَنا إلى الإيمانِ به)[2].

بلاغةُ الالتفاتِ:

الالتفاتُ يُنشِّطُ ذهنَ المُتلقّي، ويهيِّئُه لتجديد التَّلقّي

إذا كان الخطابُ للرُّسل: كان الكلام على الالتفات، أي بطريق تلوين الخطاب، فإنَّه لمّا خاطب قومَه بقوله: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾: التفت إلى الرُّسل، فقال: ﴿إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ﴾، لشدِّ انتباه القومِ، ولتحقيق إيمانِه.

فائدةُ الفاء:

مِثْلُ الإيمانِ باللهِ يُسْمَعُ

تفيد الفاءُ في قوله: ﴿فَٱسْمَعُونِ﴾ التّفريعَ، بمعنى تفريع طلبِه سَماعَ القوم الكافرين منه على إعلانِه الإيمانَ بربِّهم، ليفيد أنَّ الإعلانَ بإيمانِه يقتضي سماعَهم منه، اسْتِدْعاءً لِتَحْقيقِ أَسْماعِهِمْ إنْ كانوا في غَفلَة[3]، وإن كان الخطابُ للمرسَلين كان المعنى: (فاسمعوا كلامي عنِ الإيمان، فاشهدوا لي بذلك عند ربّي

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 503.
(2) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 164.
(3) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 22/ 369.

وربّكم)، فيكونُ الكلامُ على جهة الاستشهاد بهم، والاستحفاظِ للأمر عندهم[1].

دلالة قولِه: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ مادَّةً وصيغةً:

دلالـــةُ لـفـظِ الـسّـمـعِ على طـلـبِ السّـمـاعِ والإجـــابـــةِ والقَبولِ فورًا

عبّرَ بصيغة الأمر: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ الدّالِّ على طلب الامتثال فورًا مِن غيرِ تراخٍ؛ بمعونةِ السّياق، لِما يفيدُه اللّفظُ مِن معنى طلب السّماع، والإجابةِ والقَبولِ فورًا؛ إظهارًا لقوّة إيمانِه، وشجاعتِه، ولِحبِّه للخير الذي هو فيه، ولمّا كان المُراد مِن تعْدية الفعل إلى ياء المتكلِّم في قولِه: ﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾ ما يتعلَّق به السّماع؛ وهو الكلام، وما صدر مِنَ المقال، كان المعنى: (فاسمعوا يا قومي كلامي مِنَ الإيمان، وأجيبوني في وعظي ونُصْحي، واقبلوا قولي)، كما يقال: سمِع اللّه لِمَن حمده، أي: قَبِلَه[2].

(1) الآلوسي، روح المعاني: 11/ 399، والهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 503.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 23/ 503.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد السابع والأربعون،
سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 47 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-731-00-9
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 47 : المجلد السابع والأربعون، سورة فاطر من الآية 15 إلى سورة يس الآية 50.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-731-00-9
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-0968178 بتاريخ 2025/01/23م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»